

ولأن غادة شبيه تتقن هذا الانشاد العريق، عُوّضت عن صعوبته بأدائها المتمكن (من هنا جدارتها بأن تكون مسؤولة في الكونسروفاتوار اللبناني عن الانشاد السرياني، لندرة هذا الاختصاص). ومن ملامستها تخوم التجويد البيزنطي العريق في تطوره المتقدم (المتبرعم أحياناً من الانشاد السرياني) بلغ بنا صوتها حد أن ينسينا تشابهاً في بعض اللوازם نفاه أداؤها غير المتشابه، فحملنا إلى حالة نسياناً معها اننا نصفي إلى نصوص (سريانية) لا نفهمها، بل وصلتنا في أداء مكتمل، كما حملنا إلى التذوق المهاجر لنصوص بالعربية ("انا الام الحزينة"، "مبارك من فدانا بموته"، "رفعت على عرشك"، "زح الموت"، "فوق الصليب مات رب الاكوان"، "ربى يسوع الفادي الحبيب"...). بعيداً عن التمويجات المجانية المصطنعة والصوت الممقويس في الطبقات العالية. جاء صوتها طقسيًا في ثبراته، ليتورجياً في أدائه، ناهداً إلى السماء بسحبات متواصلة طويلة النفس.

بعيدة عن مشهدية الصوت الغنائية واحتفلالياته الاستعراضية. القسم الآخر من الامسيّة (17 مقطوعة) كان كلّه بالعربية، مقطوفاً من نصوص والحان (من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر) منسوبة إلى تقميشهات من الخوري عزيز الجزيني والاخوين رزق وبشاره فرزان والاب بولس الاشقر وسواهم ممن جاؤوا ببعضها من حلب (مناخ القدود ومحاذاة الطرب) وببعضها الآخر من مصادر طقوسية مارونية قديمة تجمعت لتؤلف ارثاً بعضه ليتورجي ("يا ام الله يا حنونة"، "قدوس قدوس"...). وبعضه الآخر ("يا بنت ناصرة الجليل"، "يا خالق الاكوان"، "يا راية افتخار فوق لبنان"، "مجد مريم يتعظم"...). يحاذى الليتورجيا، تبرعمت منه لاحقاً الحان عصرية تأثرت به. وما كان من تلك الالحان سابقًا للنص بدا النص فيه خاضعاً لـ"ال Tilinat " لغوية أو لفظية، بينما النصوص الموضوعة قبل اللحن جاءها اللحن بدون مددات مفتعلة، لابساً ابيات القصيدة الموزونة المقفاة.

تجربة غادة شبيه الممتازة، يعصمها إنما طالعة من الثقافة الأكاديمية. فهي تحمل الدبلوم في الفناء الشرقي والماجستر بامتياز في الانشاد السرياني والفناء العربي الاندلسي من جامعة الروح القدس (الكسليك) وتزاول فيما تدرّيس الفناء العربي، وتدرّيس الانشاد السرياني في الكونسروفاتوار اللبناني. وهي تمكنت من جذور التراث اللحمي لريبيراتوار حتى باتت تتقنه باحترافية عالية، وتنسيطر فيه على صوتها بقدرة راسخة باتت معها أقرب إلى تقنية التجويد منها إلى مجرد الأداء، حتى ليحمل صوتها، في كثير من هنائيات أدائها، إلى اشعال الرغبة التقوية في الصلاة. واجمل الاصوات ما كان من الصلاة والى الصلاة يعود.

**هنري زغيب**



(أميل عيد)

غادة شبيه تفني وماريا مخول على القانون.

امسية سريانية في كنيسة عتيقة

## غادة شبیر مالکة الرنین

مرة أخرى يأخذنا مهرجان البستان الى المนาبع، الى الجذور. وميرنا البستانى، الحريصة على ان تكون الاسابيع السنوية الخمسة ذات نكمة حضارية تثقيفية اكثر منها مهرجانية استهلاكية، والراصدة معظم مهرجان هذه السنة لموزار (في الذكرى الـ 250 لولادته)، تقدم لنا قمة الارث الغربي مع قمة الارث المشرقي.

الى الكنيسة هذه المرة. الى مار انطونيوس خاشباو (غزير) حيث كنيسة الدير الختيرة، المرممة باتقان، تضم في سقفها فتحات صفيرة هي فوهات جرار مختبئة في قلب السقف ل تستقبل الصوت العاري (بدون ميكروفون) وتوزعه على ارجاء الكنيسة ترددات رائعة افضل من تكنولوجيا مكبرات الصوت الحديثة.

عند بقعة محددة من المذبح، تحت باقة من فوهات الجرار فوق، وقف غادة شبیر في تقوی المصليات، بالصوت المجرد من كل تكنولوجيا مساعدة، وسافرت بنا الى امسية سريانية عابقة بهذا الارث العريق الجذوري، فاستحالت حجارة الكنيسة مرآيات تعكس الصوت وتوزعه برشاماً على الجمع المنصت داخل الكنيسة كما في جثي الصلة.

القسم الاول من الامسية (22 مقطوعة) سحیق القدم، تراتيله طقسية مارونية طالعة الافنان من السريانية الام، نصوصاً وألحاناً (من "الحاش الماروني" نقلها الى العربية الاب يوحنا جحا، اشتراكاً مع غادة شبیر بحثاً وتنسيقاً)، طلعت بها غادة بصوتها الحافي، منها الممدود كمبحة راهب، ومنها الضئيل كلها شمعة، وصوتها يراوح بين طبقات عريضة واخرى خفيفة، بين جواب وقرار، بين همس خفير وآخر جهير، وهي تسيطر على صوتها المتمكن في احترافية متمكنة عالية.

القانونتابعها طوال الامسية، توزعت عليه انامل ماريا مخول لا مرافقة دائمة بل مرة مدخلأً طقسيأً الى الترتيلة،مرة في فاصل متواضع، ومرة في دخول الى مناخ الترتيلة، ثم ينسحب بهدوء على رؤوس اوتاره ليترك وحده صوت غادة يرسم لنا في نبراته الوثيق مرة خيالات رهبان في خشعة صلاة عند رواق دير عتيق،مرة موكب نساك يدورون داخل الصومعة في مسيرة شموع صامتة، ومرة يحمل الينا صوتها كورسأً اذا جوقة تخدم القدس، ولا جوقة ولا قداس بل صوتها يتتردد بينما في خفضاته وعلواته، في نفس مرتاح ولا تقطيع، يتماوج الى مدى قريب او بعيد، فيستحيل القانون مرة هو التصويت، ومرة صوتها هو الذي يستحيل رنين اوتار القانون.

تراتيل القسم الاول ترقى الى نحو 1000 سنة، ادت غادة معظمها بالسريانية الاصلية، وببعضها بالعربية، وبقي صوتها في كلتيهما ممتعاً بالقدرة نفسها على مستوى الاداء والاحساس واللفظ ومخارج الحروف، ومرات يحتمل ترجيع الـ "اييسون" في جمالها صوتية نادرة حملت الينا نضارة ارث مبني على طقس ديني ومناخ تقوی ومضمون لاهوتی، الثالثون الذي جاءنا من مصادر سريانية هي في اساس الحان كثيرة لا تزال حتى اليوم تنهل منها منابع ومصادر وتأثيرات طالعة من الموسيقى السريانية الخامسة (ذات المسافات الصوتية الخمسة المعروفة بالـ "بنتاتونيك")، والمتميزة بأنها لا تتبع نمطاً واحداً في القياسات ضمن الانشادية الواحدة بل قد تختلف قياساتها، وهذا ما جعلها قريبة من التراث الشعبي وناحية مع الزمن صوب المناخ الطقسي، فامتزج فيها الشعبي بالديني، وبات جزءاً عريقاً من طقوس الناس، ثم اختلط النغم السرياني بالشعبي فبني العمود الفقري للنغم الفولكلوري.